المحاضرة الثانية: ماهية علم الاجتماع

تهدف هذه المحاضرة إلى تعريف الطالب ب:

- مفهوم علم الاجتماع وأهم موضوعاته وأهميته البالغة.
- مجالات وفروع علم الاجتماع المختلفة.

أولا: نشأة علم الاجتماع

نشأ علم الاجتماع في بداياته الأولى في أحضان الفلسفة، التي تعتبر أم العلوم، حيث قد احتوت كل العلوم الإنسانية منها والطبيعية، وقد اهتم الفلاسفة الاجتماعيون بدراسة المجتمع بوصف ما يجب أن يكون عليه هذا المجتمع، بمعنى يجب دراسة ما يجب أن يصل إليه المجتمع من جوانب وسلوكيات للوصول إلى مجتمع مثالي يهدف إلى التخطيط الأمثل لقيام مدينة فاضلة لا شرور فيها، ولا آثام، مدينة يسودها العدل والمساواة والفضيلة، وهذا ما ذهب إليه أفلاطون في كتابه الجمهورية، وتوماس مور في كتابه اليوتوبيا.

ثم في منتصف القرن 19م ظهر علم الاجتماع كعلم مستقل، عندما بدأت تظهر فكرة القوانين الوضعية، التي تستند على الاتجاه العلمي في تفسير الأشياء ونجح في التغلب على الاتجاهات الفلسفية السابقة في نهاية القرن 19م. وحقق تقدما في بداية العشرينات على يد الكثير من العلماء، منهم: هربرت سبنسر، إيميل دوركايم، وماكس فيبر، وتالكوت بارسونز.

ويعتبر عبد الرحمان ابن خلدون المؤسس الحقيقي لهذا العلم، حيث أطلق عليه في القرن الرابع عشر ميلادي اسم علم العمران البشري، وذلك في كتابه الشهير مقدمة ابن خلدون. ثم ظهر بعد ذلك علم الاجتماع كتوجه دراسي أكاديمي في أوائل القرن التاسع عشر، ويعتبر أوجست كونت أهم الباحثين في علم الاجتماع، كما يعتبر المؤسس الغربي له.

1- إسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع:

- يعتبر ابن خلدون أول من فطن إلى أن المجتمع يمكن أن يُدرس كموضوع لعلم.
- اعتبر الحوادث التاريخية معملا تجرى فيه التجارب الاجتماعية، لهذا اهتم بتنقيتها من الأخطاء التي قادت إلى وقوع المؤرخين في مسألة تفسير الظواهر الاجتماعية.
- نادى إلى قيام علم لدراسة المجتمع أسماه "علم العمران البشري".
- أوضح العلاقة بين علم العمران والتاريخ، وأنه يفيد في توضيح الوقائع التاريخية والتأكد منها.
- جعل علم الاجتماع أساس المجتمع، وميّز بين علم الاجتماع وعلوم أخرى، مثل: علم الخطابة، وعلم السياسة والمدنية.

وبعد هذه المرحلة، انقطعت جهود ابن خلدون لسنوات طويلة، فانتقل بعد ذلك إلى دول أوروبا وحظي باهتمام العالم أوجست كونت في القرن 19م-12هـ، وعلى يديه عاد المنهج العلمي في علم الاجتماع إلى الظهور، بحيث ينسب له المؤرخون الفضل في نشأة علم الاجتماع الحديث.

2- إسهامات أوجست كونت في علم الاجتماع:

- يعتبر أوجست كونت أول من صاغ اسم "علم الاجتماع" Sociology سنة 1838م، وهذا الاصطلاح مكون من كلمتين من أصل لاتيني ويوناني، وهما: Socio وتعني المجتمع، و Logy وتعني علم أو بحث باليونانية، ومن ثم يعطينا المصطلح ما يعرف بعلم الاجتماع.
- لقد سمى أوجست كونت العلم الجديد باسم "الطبيعة الاجتماعية" في بادئ الأمر، إلا أنه عاد فسماه علم الاجتماع، وقد قسمه إلى شعبتين رئيسيتين هما:

الشعبة الأولى: وسماها الديناميك الاجتماعي Social dynamic، وتدرس علم الاجتماع الإنساني من حيث تطوره، وتغيره من حال إلى حال.

الشعبة الثانية: وسماها الستاتيك الاجتماعي Social static، وتهتم بدراسة كافة المجتمعات البشرية حالة ثباتها واستقرارها في فترة زمنية معينة من التاريخ.

- فكّر أوجست كونت بضرورة إنشاء علم يستند على المنهج العلمي نتيجة للوضع السيئ الذي ساد في المجتمع الفرنسي بعد الثورة الصناعية، وما ترتب عليها من مشكلات اجتماعية متعددة، مثل: انفصال العمال عن أسرهم لساعات طويلة، والازدحام، وسوء الأحوال السكنية.

ويرى كونت أنه لكي يمكن فهم الناس لظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي، يجب أن يتوفر شرطان:

الشرط الأول: أن تخضع الظواهر الاجتماعية لقوانين تسير عليها، ولا تخضع للأهواء والمصادفات، وذلك لأن فهم الظواهر الاجتماعية بطريقة وضعية هو عبارة عن القوانين التي تحكمها.

الشرط الثاني: أن يحيط كل فرد بكافة القوانين الاجتماعية ليتمكنوا من فهم الظواهر التي تقوم بتأسيس تلك القوانين.

وهو يرى أن الشرط الأول متوفر في الظواهر الاجتماعية، لأنها جزء من الطبيعة الكلية، وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها. وأما الشرط الثاني –معرفة الناس بهذه القوانين– فلا يمكن توافره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين، ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا قام علم جديد وظيفته دراسة ظواهر علم الاجتماع دراسه علمية وضعية، وبقيام هذا العلم الجديد يتم القضاء على الفوضى الكلية، ومن ثم يتم الاصطلاح المنشود.

3- إسهامات إيميل دوركايم في علم الاجتماع:

يعدّ إيميل دوركايم زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع، والتي لا تزال قائمة حتى مجتمعنا هذا، وهو عالم اجتماعي فرنسي وأحد تلامذة كونت، وقد اهتم هو ومدرسته بالدفاع عن كيان العلم، والتصدي للمعارضين في استقلاله، ودرس معظم ظواهر المجتمع ونظمه، ووصلوا في هذا الصدد إلى نتائج وقوانين على درجة عالية من الأهمية، وبذلك ازدهر العلم وانتشر في كل البلاد. وبقيام الحرب العالمية الثانية انتقل مركز الصدارة في هذا العلم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كان لضخامة الإمكانيات بها، وكثرة ما رصدته من مكافآت وإعانات دراسية أكبر الفضل في زيادة الإقبال على الدراسة في الميدان الاجتماعي، وفي إغراء الكثير من العلماء الأجانب إلى الهجرة إليها، وقد عرفت كثير من البلاد العربية الدراسات الاجتماعية منذ أوائل القرن الحالي.

ويعتبر هربرت سبنسر أول من ألف كتاب باسم: "علم الاجتماع"، كما افتتح أول قسم لعلم الاجتماع بجامعة بورديو عام 1895م، وظهر قبله عام 1892 قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو، أما في عام 1905م أسست الجمعية الاجتماعية الأمريكية من علماء الاجتماع المحترفين، وهي تتضمن عدة علماء، مثل: كارل ماكس، إيميل دوركايم، فلفريد وباريتو، وماكس فيبر.

ثانيا: تعريف علم الاجتماع وتحديد موضوعه:

لقد دأب العديد من العلماء على تكوين تعريف شامل وموحد لعلم الاجتماع غير أن اختلاف المدارس الفكرية والايديولوجيات المتنوعة حالت دون ذلك، حيث نجد موضوع الدراسة في علم الاجتماع تركز على ثلاثة ركائز أساسية، وهي:

1- **دراسة المجتمع:** ويعرّف علماء هذا الاتجاه علم الاجتماع بأنه يهتم بدراسة المجتمع، ومن أمثلتهم: كونت، هنري، جيد نجز، لستر وارد، رينيه موننييه.

2- **دراسة النظم الاجتماعية:** يرى هذا الاتجاه بأنه العلم الذي يهتم بدراسة النظم الاجتماعية كالنظام الاقتصادي، النظام السياسي، النظام الأسري وغيرها من الأنظمة. ومن أمثلتهم: دوركايم، وأرمان كوفيليه.

3- **دراسة الأفعال والعلاقات الاجتماعية:** عرّف هذا الاتجاه علم الاجتماع بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الأفعال والعلاقات الاجتماعية، ومن أمثلتهم: روبرت ماكيفر، جون لويس، جون فيليب، بارنز.

والملاحظ، أن هذه التعاريف ركزت على موضوع واحد من موضوعات علم الاجتماع، إما المجتمع، أو النظم، أو الأفعال والعلاقات الاجتماعية.

تعريف العالم انكلز لموضوع علم الاجتماع:

يعدّ تعريف العالم انكلز من بين أكثر التعاريف مصداقية لعلم الاجتماع، فيرى بأن موضوع علم الاجتماع يتمثل في عدة قضايا أساسية:

- **التحليل السوسيولوجي:** ويتضمن دراسة الثقافة الإنسانية والمجتمع، وتحديد أبعاد المنهج العلمي للدراسة.
- **الوحدات الأساسية للحياة الاجتماعية:** تتضمن الأفعال والعلاقات الاجتماعية والشخصية الإنسانية والجماعات، والمجتمعات المحلية، والتنظيمات والسكان والمجتمع.
- **النظم الاجتماعية الأساسية:** وهي النظم التي يستند عليها المجتمع، وتشمل النظام الأسري، الاقتصادي، السياسي، الديني، التربوي، الترويجي، الجمالي.
- **العمليات الاجتماعية:** وهي تلك العمليات التي تتم داخل المجتمع وتشمل التباين والتدرج، والتعاون والتوافق، والاتصال والتنشئة الاجتماعية، والضبط الاجتماعي، والتغير الاجتماعي.

ثالثا: أهمية علم الاجتماع والغاية من دراسته

- فهم أنماط التغير الاجتماعي الجاري في العالم المعاصر، والقدرة على التنبأ بما سيحدث مستقبلا.
- فهم بناء النسق الاجتماعية والعمل على إصلاحها وتحسينها إذا تطلب الأمر.
- جمع قدر كاف من المعلومات عن العمليات والميكانيزمات الاجتماعية.
- يساهم في تطوير الآليات والأساليب في حل المشاكل الاجتماعية التي تتجلى على شكل ظواهر اجتماعية.

رابعا: مجالات علم الاجتماع

بفضل الدراسات والتوسع والتعمق في هذا العلم فإنه تدخل في كثير من الموضوعات، فقد اهتم بدراسة الظواهر الثقافية فظهر علم الاجتماع الثقافي، وكذلك تدخل في الجانب القانوني والمسائل القانونية فظهر علم الاجتماع القانوني، أيضا المسائل الجنائية أدت إلى ظهور الاجتماع الجنائي، وبالتالي لا تزال موضوعات علم الاجتماع في توسع كلما ازدادت المجتمعات تعقيدا.

وفيما يلي نعرض بعض مجالات علم الاجتماع:

1- علم الاجتماع الريفي: يهتم بدراسة:

- التركيب السكاني للمجتمع الريفي والفروق الفردية بينه وبين المجتمع الحضري.
- العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الريفي، كالأسرة، القرابة، التقاليد.
- مستوى معيشة الريفيين وطبيعة الهجرة الريفية الحضرية وأسبابها وآثارها.

2- علم الاجتماع التربوي:

- وهو العلم الذي يدرس الأنشطة التربوية للمؤسسات، كأنشطة المدرسين والتلاميذ والإداريين.
- العلاقات بين المدرسة والمؤسسات الأخرى وطبيعتها كالمسجد والأسرة.

3- علم الاجتماع السياسي:

- يهتم بتحليل النظم السياسية كالمؤسسات التشريعية والتنفيذية والتنظيمات الحزبية.
- دراسة إيديولوجيات الحركات السياسية وجماعات المصلحة.
- كيفية تغيير المجتمعات والبحث عن اختياراتها على الصعيد السياسي.

4- علم الاجتماع الديني:

- يهتم بدراسة المعتقدات والطقوس والممارسات والاحتفالات الدينية في ضوء المقارنة السوسيولوجية.
- دراسة التنظيمات الدينية المختلفة، مثل: الطائفة الدينية، الحركات الدينية، الطرقية، السلفية...الخ.
- دراسة الرصيد الديني في الأسرة ودوره في الحفاظ على قيمها وتقاليدها.

5- علم الاجتماع الحضري: ومن بين المواضيع التي يهتم بها ما يلي:

- التركيب السكاني الحضري وخصائص المساكين فيه –الاقتصادية والتعليمية...الخ–.
- علاقة الحضر بالريف والنظريات السوسيولوجية.
- التدرج الطبقي الحضري وأهم عوامله.

خامسا: هل علم الاجتماع هو علم نظري أم تطبيقي؟

هناك من يرى أن علم الاجتماع هو علم نظري بحت، يدرس الظواهر أو النظم الاجتماعية دراسة تحليلية وضعية لاستكشاف القوانين أو القواعد أو الاحتمالات التي تخضع لها، بهدف اكتساب المعرفة فحسب، بينما يرى أن التطبيق من اختصاص العلوم التطبيقية الأخرى. ومن أمثلة هؤلاء: بيرستد، ماكس فيبر، بيري.

أما الاتجاه الآخر، فإنه يرى أن علم الاجتماع علم تطبيقي يهتم بوضع حقائق الحياة الاجتماعية في مجال التطبيق العملي، ويهدف إلى استخدام المعرفة السوسيولوجية في حل المشكلات الاجتماعية، يدرس مدى إمكانية وضع حقائق علم الاجتماع النظرية في مجال التطبيق ومحاولة الارتقاء. ومن أمثلة هؤلاء: جولندر، بكر، كولفاكس، لي.

علم الاجتماع علم نظري وعلم تطبيقي في آن واحد:

علم الاجتماع لا يقتصر على كونه علما أكاديميا أو نظريا بحتا، بل علما تطبيقيا يسعى إلى تطبيق نتائج دراسات علم الاجتماع على الواقع الاجتماعي بهدف حل المشكلات وتحقيق الاصلاح الاجتماعي والتنمية والتطور والاستقرار الاجتماعي.